Issn:2437-0967 مجلة اللغة الوظيفية
المجلد10،العدد1
2023

# إشكالية التّداخل بين النّص والخطاب
# قراءة في الوظيفة اللّغوية والدّلالية للمصطلحين

**The problem of the overlap between text and discourse**
**A reading of the linguistic and semantic function of the two terms**

**د.بن عامر حسيبة* (1)**

**كلية الآداب واللغات والفنون– جامعة جيلالي ليابس– سيدي بلعباس**

**benameurh222@gmail.com**

| تاريخ الإرسال:2022/09/22 | تاريخ القبول:2023/06/10 | تاريخ النشر:2023/06/17 |
|---|---|---|

**الملخص:**

تتضارب العديد من الآراء والنّظريات حول مفهومي "النّص" و"الخطاب"، ويخلط الكثير بينهما لدرجة أنّه يصعب وضع تعريفات محدّدة لكل منهما،فهناك من يظن أن المصطلحين مترادفين ويحملان نفس الوظائف اللّغوية والدّلالية ونفس الخصائص،بيد أنّ الحقيقة عكس ذلك، فلكل مصطلح منهما (النّص/ الخطاب) تعريف خاص به، ومميزات ووظائف من حيث اللّغة والمعنى والدّلالة.

**الكلمات المفتاحية:** التداخل؛ النّص؛ الخطاب؛ الوظيفة اللّغوية؛ الوظيفة الدّلالية.

**الملخص باللغة الأجنبية:**

There are many conflicting opinions and theories about the concepts of “text” and “discourse”, and many confuse them to the point that it is difficult to put specific definitions for each of them. Therefore, each term (text / discourse) has its own definition, characteristics and functions in terms of language, meaning and semantics.

**Keywords**: overlap; text; discourse; linguistic function; semantic function.

* د. بن عامر حسيبة

**مقدمة:**

لقد بدأ في كثير من الدّراسات العربيّة الأكاديميّة مصطلحا "النّص" و"الخطاب" متطابقين، متداخلين، وفي أحيان أخرى متقاطعين، أو متكاملين تارة.و ليس هذا ما يهمنا هنا، لكن ما يهمنا هو مصطلحا النص والخطاب باعتبارهما من المفاهيم الأكثر تداولا وشيوعا واستخداما.

فالنص بنية دلالية تنتج عن طريق الكتابة (الكاتب) والقراءة (القارئ)، انطلاقاً من مرجعيات وإيديولوجيات تتبلور في ذهن صاحبها مسبقاً في زمن معين ومكان معين وفي ظروف اجتماعية وثقافية وتاريخية وأدبية محددة، وفي هذا السياق يتفاعل الكاتب مع نصّه ويستمتع القارئ بالعمل الإبداعي.

حقّقت اللّسانيات نجاحاً مبهراَ، من خلال تمكنها من السّيطرة على بعض المفاهيم الأدبيّة الحديثة وتوسيع نطاقها، ثمّ العمل على تطويرها في حقل الدِّراسات السِّيميائية والنّقدية الحديثة. وليس في ذلك ما يدعو إلى الغرابة، لأنّ الأدب مرتبط بالدرس الألسُني، بحيث يكمّل كلاهما الآخر.

يسوقنا هذا الحديث إلى حتميّة ذكر بعض تلك المفاهيم أو المصطلحات، التي أضحت تشكّل مفاتيحاً، لابدّ من حضورها نظريا وتطبيقياً في مجالات النّقد والأدب والسّيمياء، منها مصطلح الجملة، الوحدة، الملفوظ، المورفيم، النّص، السِّياق، التأويل، البنية الكليّة الكبرى أو البنية الصغرى، النصّية، التّرابط، الانسجام،.. والخطاب.

لقد دعّمت تلك المصطلحات وغيرها مجال الأدب الحديث، فطوّرته، حتى شاع الحديث عنها وشاع توظيفها، وتداول استخدامها أبرز روّاد اللّسانيات والسيميائيات والأدب، الذين سعوا جاهدين إلى تغيير ما قَدُم من مفاهيم إلى ما استُحدِثَ فاستبدلوا لفظةَ"مشابهةً" بكلمة "مُشاكلة"، وجملة قياس النّص الشّاهد على النّص الغائب، أو لنقُل السرقات الأدبية أو الانتحال بمصطلح "التناص"، وجملة "قراءة النّص من الداخل" بلفظ أو اتجاه "البنيوية"، وكلمة تحليل بكلمة "قراءة أومقاربة"، وكلمة عمل أدبي بمصطلح "خطاب"(Discours). وهكذا دواليك.

وكانت نتيجة تلك الحداثة و ذلك التّجديد والتّغيير تضارب في الآراء واختلاف في وجهات النّظر، فمثلاً مصطلح الخطاب تضارب معناه مع معنى القول والنّص، وانحصر محتواه ومفهومه في حِقَبٍ زمنيّة معينة في حدود المعنى أو الكلام أو الكتابة، في حين هو أكبر من ذلك.

**1. النصّ والخطاب: الفرق بينهما:**

لا يميّز أغلب السّرديين الذين يقفون عند الحدّ اللّفظي للحكي بين مصطلحي الخطاب والنّص. لهذا نجد العالم جرار جنيت يوظّف في كتاباته لفظ الحكي، ويقصد به أحيانا الخطاب، وأحيانا أخرى

النّص وإن كان الاستخدام المهيمن الغالب هو الخطاب، ولكن هناك من يميّز بين الكلمتين انطلاقا من المستويات أو الأطراف الثّلاثة الرّئيسة في عمليّة الحكي وهي: القصّة (القص)، النّص، السّرد.

**1.1 مصطلح النّص: قراءة في المفهوم و الماهية**

عرّف روجر فاولر Rojar Fawlar النّص من منظور لساني صرف فقال: "هو بنية سطحية خطية أكثر إدراكا ومعاينة". والمراد بالبنية السطحية: المتوالية من الجمل المترابطة فيما بينها والمنسجمة باستمرار.[1]

ويرى هاليداي "Haliday" أنّ النّص "وحدة لغويّة في طور الاستعمال"، ويقصد بالوحدة:الوحدة الدلالية التّي قد يكون أساسها الكلمة أو الجملة أو العمل الأدبي بكامله[2] على أنّ بعض أصحاب نظريّة النّص قد نظروا إلى النّص بوصفه "وحدة كلامية منجزة، تامّة، مستقلة نسبيّا، يحقّقها المتكلّم بهدف معيّن، وفي إطار ظروف مكانية وزمانية محدّدة، ويفرق بينها مجرد توال لأيّ عدد من الجمل."[3]

وفي مجال علم اللّغة التواصلي يعرّف النّص على أنّه: "الكمّ الكلّي للإشارات التّواصلية في تفاعل تواصلي، أو متحقّق لعمليّة تواصليّة بين محقّقه ومتلقّيه."[4] بيد أنّ النّص عند عالم آخر هو "تمثيل لبنية معرفية مجرّدة." أو "تمثيلات لعوالم ممكنة."[5]

وقد أشار "جاكو هنتيكا"Jakohantika إلى أنّ ما يميّز النّص الأدبي عن غيره، هو أنّ النّص الأدبي ينتمي إلى نصّ الكلام عموما، غير أنّه إيحائي، يوحي بالمعنى أو يلمّح، ولا يفصح عنه أو يصرّح. وعلى هذا الأساس عرّفه ميشيل إريفي بأنّه: "لغة إيحائية" وعرّفه آخرون بأنّه "أنموذج لغة الإيحاء."[6]

أمّا بارث Barth، فقد طوّر تعريفات جوليا كريستيفا Joulya Kristiva للنّص، وأضاف عليها بأن قال أنّ النّص: "ممارسة دلالية يعيد للكلام طاقته الحيويّة الفاعلة، وينهض بها متعدّد الجوانب." أي أنّه: "إنتاجية مستمرة العطاء، يتّصل فيها الفاعل (كاتب النّص) بقارئ النّص أو متلّقيه"،ثمّ قال عن النّص في نهاية المطاف: "إنّه تناصّ...أي حقل لإعادة توزيع نظام اللّغة، وكلّ نص ليس سوى نسيج من استشهادات سابقة..."[7]

يرى بعض النّقاد أنّ كلّ متتالية من الجمل تشكلّ نصّاً، شريطة أن تكون بين هذه الجمل روابط، أو على الأصحّ بين بعض عناصر هذه الجمل علاقات، إذ تتمّ بين عنصر وآخر وارد في جملة سابقة أو جملة لاحقة، أو بين عنصر ومتتالية برمّتها سابقة أو لاحقة، وعلى ذلك فإنّ كلّ صلة بين أيّ عنصر وما سبقه تدعى علاقة قبليّة، وبين كلّ عنصر وما يلحقه تسمّى علاقة بعديّة، ويمكن تمثّل هاتين العلاقتين بالمخطّط التّالي:

س ⟶ ص =علاقة قبليّة

س ⟵ ص = علاقة بعديّة[8]

غير أنّ التّمثيل بالعلاقة بين عناصر ومكوّنات جمل سابقة وأخرى لاحقة،أو العكس،لا يعني أنّ النّص مجموعة من الجمل، وذلك لأنّ النّص يمكن أن يكون منطوقا أو مكتوباً، نثراً أو شعرا، حواراً أو مونولوجاً، يمكن أنّ يكون أي شيء من مَثَلٍ واحد حتّى مسرحيّة بأكملها، أو مجموع مناقشة حاصلة، طوال يوم، في لقاء هيئة.[9]

إنّ النّص عبارة عن وحدة دلاليّة وليست الجمل إلاّ أداة أو وسيلة يتحقّق بها كيان النّص. زيادة على ذلك فإنّ كلّ نصّ –كيفما كان نمطه أو جنسه – يتوفّر على خاصيّة كونه نصّاً، وهي الميزة التّي يمكن أن يطلق عليها مصطلح "النّصيّة" وهذا ما يميّزه عمّا لا يكون نصّاً. وعموما فإنّ الوحدات والعناصر والمكوّنات الدّلالية المبنيّة تنسجم وتتناسق وتتعلق لتشكّل نصّاً، بحيث تضمّ تلك الوحدات النّحوية: الجمل، الأقوال، المركّبات، والكلمات المتّسقة داخليّاً.[10]

وما نقرؤه أو نكتبه من خطاب يعدّ نصّاً، وهي عمليّة إنتاج تدعى "السّرد"، ولا تكتمل هذه العمليّة إلاّ بتوظيف أبعاد أو مستويات اللّغة والأصوات والكلام (الصّيغ والتّراكيب والألفاظ المعجميّة..)، ومن هنا فإنّ النّص عند العالم اللساني مجرّد بنية سطحيّة نصّية أكثر إدراكا و معاينة. تلك البنية ينتجها المبدع، ويتعامل معها المتلقّي أو القارئ أو هو بناء نظري مجرّد، منظور إليه عادة تحت اسم الخطاب.[11]

تنظر جوليا كريستيفا إلى النّص على أنّه "جهاز عِبر لساني يعيد توزيع نظام اللّسان Langue عن طريق ربطة بالكلام parole التّواصلي، راميا بذلك إلى الإخبار المباشر، مع مختلف أنماط الملفوظات السّابقة والمعاصرة. بهذا التّعريف يتحدّد النّص كإنتاجيّة Productivité ومعنى ذلك أنّ علاقته باللسان الذي تقع فيه علاقة إعادة توزيع( أي هدم/بناء–حل/ربط–تفكيك/تركيب). وعلى هذا فإنّ النّص يتمفصل كدليل signeإلى دال ومدلول.[12]

### 2.1 خصائص النّص و وظائفه اللّغوية:

انطلاقا من المفاهيم السابقة الذكر حول تعريف النّص،و بالعودة إليها، وحسب الآراء والنظريات التّي تبنتها، فإنّ النّص يكون معطى أو مصطلحا تم تغير معناه حسب مايلي :

- النّص مجموعة من الجمل المتتابعة منهجيا و المرتبة بانتظام، تقوم كل جملة منها على معنى واضح مفهوم مفيد، شرط أن تكون جملا مترابطة، منسجمة، متوافقة، ملائمة للمطلوب وللموقف، بل يجب أن يكون كلاّ منهما يكمّل الآخر في المعنى، والتركيب والسياق وحتى في الصياغة

و...، فسواء حدث بينها تقديم أو تأخير أو حذف أو تعديل أو...فإنّ المعنى واحد لا يختل، وهذا يتوقف على براعة وذكاء المبدع، وبعد القارئ.

- النّص عبارة عن وحدة أو بنية لغوية ذات مضمون وتعبير (كتابي/شفهي)، ومرجعية معينة، و إيديولوجية معرفية، وليست الجمل إلاّ وسيلة يتحقق بها كيانه وتتشكل بها الهندسة أو الهيكل أو البناء الخارجي له.
- النّص يتفرع إلى مستويات تشكلها اللغة وهي: المستوى النحوي، المستوى الصرفي، المستوى المعجمي، المستوى الإيقاعي، المستوى الدلالي، المستوى التركيبي، المستوى الصوتي ...وغيرها.
- النّص نتاج عملية إبداع وليس شرطا أن يكون إبداعا، إنّما يمكن أن يكون تناصا أو مأخوذا من نص سابق أو غير ذلك . ورسالة تلقى إلى القارئ . الذي يفك شفراته ثم يعيد تركيبها .
- في النّص تتكون علاقة الدلالة "بين عنصرين سيميائيين هامين هما: الدال /المدلول، وذلك باعتبار النّص دليلا،و اللسان أداة وصل أو واسطة بين المؤلف المبدع والقارئ،لهدم مكونات وأجزاء النّص ثم جمعها ولمّ فتاتها وأشلائها لإعادة تركيبها .

### 3.1 أصناف النّصوص:

**أنماط النّصوص عند عبد الملك مرتاض ودلالتها اللّغوية والوظيفية :**

ميّز عبد الملك مرتاض بين خمسة أصناف من النّصوص سيتم ذكرها على النحو الآتي:

#### 1.3.1 النّص الوثيقة:

إذا كان النّص عبارة عن وثيقة، فهذا يدل على أنّه يمكّن الإنسان من كشف أمور الحياة، واستطلاع أحوال المجتمع، وإدراك خفايا النفس البشرية،واستخبار أسباب التحضر ومعالم الحضارة والتمدن...وغيرها من الاهتمامات التّي نجد لها انعكاسا في الصنيع الأدبي.

بل إنّ النّص الوثيقة حسب رأي "هيبوليت تين" صالح لدراسة الكائن الإنساني نفسه. غير أنّ عبد الملك مرتاض لا يروم من المصطلح (النّص/الوثيقة) سوى كونه وثيقة دالة على أمر خارجي فحسب. وهو يستغل هذه النظرة في ثلاثة مواطن هي:

- النّص وثيقة للرد على ادعاءات وأباطيل "رينان".
- النّص وثيقة في بيان خصائص النثر الجزائري.
- النّص وثيقة في كشف عناصر التراث الشعبي[13].

هذا الرأي يجعل من النّص/ الوثيقة مجرّد تحفة يعرضها الباحث ليشير إلى مواطن الحسن والجمال فيها. ومن جهة أخرى فإنّ النّص/الوثيقة يحتل دورين أساسيين: يتصدى في أوله إلى دفع الشبهة باعتباره

دليلا ماديا على وجود أدب جزائري في فترة محددة، وفي ثانيه يحاول تأكيد الشاهد التاريخي بالالتفات إلى الجانب الفني ليكسب الوثيقة حجّتها على الصعيدين معا. وبذلك يكتسب هذا النمط من النّصوص أثناء الكتابة صفتي الإقناع والمجادلة. [14]

### 2.3.1 النّص/الشكل:

يقول عبد السلام المسدي في هذا الصّدد . عن النّص: هو كيان عضوي يحدده انسجام نوعي ناتج عن علاقة التّناسب القائمة بين أجزائه. ذلك أنّ النّص إنّما هو موجود نعالجه معالجة الموجودات الأخرى. هو موجود تركيبي بمعنى أنّه جملة من العلائق المكتفية بذاتها حتى لتكاد تكون مغلقة .[15] وكلمة موجود هنا تشاكل النّص الأدبي بباقي موجودات الطّبيعة كالحيوانات أو النباتات...وترى البنيوية أنّ النّص الشكل هو صورة ميتافيزيقية ترى بالعين، وتتخذ لها حيّزا شرعيا داخل مساحة، وعبر زمان ما.[16] وهي نظرة بنيوية جائرة تجعل من النّص الأدبي مجرّد وثيقة تعبيرية مجرّدة من أي معنى.

ويرى فاليري Valire أنّ الشكل شيء إذ يقول: "الشكل هو الوجود الثابت المشروع الذي تنشأ عنه الحياة، و حقوق التفرّد الشّخصي في العالم الأدبي. وينشأ عن هذا أيضا أنّ النّص الأدبي ليس ينبغي أنّ يحال إلا على نفسه." وهذا الكلام يعني أنّ النّص لا يمكن إدراكه من حيث البناء الخارجي العامّ. لكن عبد الملك مرتاض يرى أنّ هذه نظرة ضيّقة، وأنّ النّص يفوق حدود الشكل لأنّه عالم ضخم متشعب،متشابك معقد.[17]

### 3.3.1 النّص/الأثر:

يحدّد أمبرتوإيكو U.Eco الأثر الفنّي على أنّه الموضوع ذو الخواص البنيوية، الذي يمكن و ينظم توالي التأويلات، وتطور الرؤى والمنظورات . ويؤكد عبد الملك مرتاض على أنّ الأثر يتجاوز نطاق النّص.

ذلك النص حسب رأي إيكو لا يمكن دراسته إلاّ على أنّه حقيقة أدبية مشروعة الوجود، لأنّها منبثقة عن واقع اجتماعي، ولأنّ الحقيقة الاجتماعية منبثقة عن الإنسان، ثم يقول "إنّ النّص الأدبي عالم منغلق، ولكنه قابل للانفتاح، بيد أنّ مفتاحه لا نأخذه في يدنا و نمضي لنفتح أبوابه نستكن أسراره، وإنّما نبحث عن هذا المفتاح في ثناياه ذاتها".[18]

### 4.3.1 النّص/التّحفة:

يتجلّى النّص التّحفة فيما يعبّر به المرء عن عالمه، ويغرق في عوالم جديدة لا مكانة فيها للعقل، ولا سلطان فيها للمنطق وإنّما السلطان كله للخيال المجنح، يحلق إلى أقصى الحدود، ولكن في فضاء بدون حدود.

لقد تشكل النّص/التّحفة في موقف خاصّ اقتضى صيغة تعبيريّة خاصّة، ارتفعت به عن زمانيّة ومكانيّة الموقف، إلى معنى آخر يقدّم صياغة مماثلة للمواقف المشابهة، شريطة أن يكون المتلقّي على علم بالأولى، أو له قابليّة على إدراكها من خلال التّركيب أو الصّياغة، أو أهم وسيلة للولوج إلى هذا النّمط من النّصوص وهي الإحصاء.[19]

**5.3.1 النّص/الجامع:**

يقصد بهذا المصطلح مدى إمكانية انفتاح النّصوص على جمعانيّة القراءة، وذلك بحسب ما تقتضيه الصّور والعلامات والرّموز المستنطقة في تلك النّصوص، ويعني ذلك قراءة النّص قراءات استطلاعيّة متتالية، بهدف تفكيكه ومعرفة مركّباته وكوامنه ومطالبه ورصد بناه وأشكاله السّردية، وتحديد طبيعة المنهج المناسب لتحليله.[20]

ويتّسع مفهوم الجمعانيّة النّصية عند عبد المالك مرتاض إلى ضرورة التعاون بين العلوم في المجال الإنساني، وخدمة بعضها بعضا لأنّه من المكابرة الإدّعاء بأنّ علماً بمفرده قادر على الاستقلال لذاته، والاكتفاء بأدواته الاصطلاحية وأسسه المنهجيّة الذّاتية وحدها، فمثل هذا التصوّر للأمور تجازوه على أيّامنا هذا الزّمن، ولعلّ ما يحدث من تعاون بين المؤسّسات الصّناعيّة المتطوّرة، ما يجعلنا نقتنع بوجوب التّعاون بين العلماء الإنسانييّن.[21]

**4.1 عملية إنتاج النّص:**

لابدّ للذّات القارئة المؤوّلة لمكنونات وأسرار وخفايا النّص الجامع، أن تكون ذاتاً حرّة، بعيدة عن كلّ القيود،التّي تمنعها من تفكيك النّص،أو تنقيحه أو الزّيادة فيه أو تغيير ما يمكن تبديله أو الحذف منه، بل ينبغي عليها أن تمتلك كلّ الصّلاحيات والقدرات للإيغال في هذا النّص و التّعمق فيه بشتّى الوسائل والتّقنيات، ومن ثمّة تتقمّص دور النّاقد وشخصية المختبر المجرّب المستنطق، الذي يسبر أغوار ومرتكزات النّص،فيفتّش فيما قاله المؤلّف، وما لم يقله أو فيما وراء القول أو القصد، أو فيما وراء الفراغات والثّغرات أو النّهايات المفتوحات، التّي يمكن للمبدع والمنتج –أحياناً– أن يتناساها أو يغضّ الطّرف عنها لهدف معيّن لا يدركه إلاّ هو .

وعلى المبدع المؤلف أن يعتمد في عملية إنتاجه للنّص وتأليفه طرق التّشويق والوصف والحكي (السّرد) والجدل، وهكذا يصبح النّص كيانا مستقلا مفتوحاً على العديد من القراءات والتّأويلات والانتقادات والتّفاسير، بل ويصبح صياغة جديدة لمختلف القيم والظواهر، وممارسة واعية وعالم متجانسا من الأشخاص، تدور بينهم أحداث تربطها لغة سرعان ما تتغير بتغير نمط النص وجنسه.

## 2. مصطلح الخطاب :

### 1.2 قراءة في المفهوم و الماهية

ظلّ مفهوم الخِطاب منذ زمن سُقراط و غيره مقيّداً ومرتبطاً بحدود المحتوى، الذي يُظهره الكلام، فانحصرت وظيفته في ضرورة تخليص المعنى من كلِّ ما هو متغيّر غير ثابت، ونسبي، وظنّي، لأنّ طبيعة الخِطاب عقليّة لا حسيّة[22] .

منذ عهد بعيد ومصطلح "الخِطاب" يعني نظاماً من العمليات الذهنية، المتعلقة بالفكر والقائمة على جملة متتالية ومرتّبة منطقياً من السُنَن والقواعد، وذلك حتى بداية عهد النّهضة. وارتكازا على هذا ربط الباحثون والعلماء والفلاسفة بين الخِطاب والعقل، بل نادوا بعلاقة المشابهة والمُشَاكلة والمماثلة بينهما، انطلاقاً من مميّزات ومحتويات الخِطاب، وأفلاطون واحد من هؤلاء.[23]

وما أكد هذا التوجه المؤلَف الموسوم بـ "مقال في المنهج" لصاحبه ديكارت،حيث حقّق فيه التماثل والتّطابق بين الذات الفاعلة وموضوع القيمة، وجعل الأشياء متوافقة منسجمة مع تشخيصها وصورها في الذهن.[24]

وخلال العقود الزّمنية الأخيرة من القرن العشرين، اكتسب مصطلح الخطاب كمّاً هائلا من الدّلالات بفضل علم اللّسانيات و تيار البنيوية الحديثة، إذ عرّفه بعض العلماء الألسنيين على أنّه وحدة لغوية مكتمِلة، تمتدّ فتشمُل أكثر من جملة.[25]

وبالتالي إذا كانت دلالة الخطاب تتضمّن وتنحصر في معنى الحوار عند بعض العلماء، فإنّ علم اللّسانيات الحديث والمعاصر قيّد مفهومه بحدود الجملة،على اعتبارها نسق منظم، أو لنقل على حدِّ رأيهم هو نظام متوال متسلسل من الجمل، المكوّنة بدورها من مجموعة من الكلمات أو الوحدات الجزئية المرتبة ترتيباً منطقياً والمنظمة، سواء أكانت تلك الجمل فعلية أو اسمية .

وقد وسّع العالم ز.هاريس (Z.Harisse) مفهوم "الخطاب"، فعرّفه على أنّه ملفوظ طويل، أو متتالية من الجُمل تُكوّن مجموعة متعلّقة، يمكن من خلالها استنباط قائمة من العناصر، بشكل يجعلنا نحافظ على بقاء الخطاب الأدبي في نطاق اللّسانيات ومُتّصل بها.[26]

يجدر بنا في هذا المقام أن نُشير إلى أمر في غاية الأهميّة هو أنّ مفهوم الخِطاب يحيل مباشرةً على البنيات السِّيميائية السّردية، وكيفية تحوّلها إلى بنيات خطابية، ومن ثمّةَ يتكوّن الخطاب نتيجة لهذا التّحويل،مقدّماً معه جملة لا متناهية من التمفصُلات الدّلالية من مثل المربّع السِّيميائي، علاقات التّضاد، المقولات العاملية (عامل، ذات، موضوع، مرسل، عامل مساعد، عامل معاكس[27]، المستويات التركيبية، الدّلالية، المعجمية، الصّوتية،البرنامج السردي.. وهكذا).

حدّد الباحث الفرنسي إميل بنفنيست Imile Benviniste تعريف الخطاب بأنه: "الملفوظ منظورا إليه من زاوية آليات وعمليات اشتغاله في التواصل"[28]. والقصد من وراء ذلك هو أن الخطاب هو الفعل الديناميكي الحيّ، الذي يقوم به المتكلّم/الباث/المُرسل (وهو الطرف الأول) حينما يكون في موقف معين، وزمان مُحدّد، وبوجود طرف آخر ثاني هو المتلقي/ المستمع/المستقبل/ المرسل إليه/ المخاطب← فتتشكل هنا عملية بثّ رسالة من طرف أوّل إلى طرف ثان .

**2.2 معاني الخطاب عند العالم مانكينو Mankino :**

وعلى غرار بعض السابقين يرى العالم مانكينو Mankino أن للخطاب مفاهيم ومدلولات متعددة في الدراسات اللغوية العربية الحديثة، نظرا لتعدد و جهات النظر إليه، وصولا بهذا إلى عرض عدد لابأس به من معان للخطاب، أهمها:

1- الخِطاب مرادف للكلام، كما عرفه فرديناند دي سوسير Ferdinand De Saussure .

2- الخِطاب هو الوحدة اللسانية التي تتعدى الجملة، وتصبح مرسلة كليّة أو ملفوظاً.

3- الخِطاب هو الملفوظ المعتبر من وجهة نظر حركية خطابية مقترن بها[29].

وعلى خلاف ذلك، انحاز بعض الباحثين الأسلوبيين إلى تعاريف أخرى للخطاب إذ رأوا أنه عبارة عن فعل، أو فعالية تواصلية[30]. وهناك من نظر إليه بوصفه حواراً أو مونولوجاً شفوياً أو كتابيّا[31].

وحتى تعم الفائدة ينبغي أن نشيد بفضل العالم فان ديك Fun Dik، وهو واحد من هؤلاء الباحثين الذين درسوا الخِطاب، وعرّفوه على أنه فعل إنتاج لفظي، ونتيجته الملموسة، المسموعة والمرئية في الوقت نفسه[32]. ويُضيف فان ديك أن الخِطاب بنية وجزء لا يتجزأ عن اللغة،تلك البنية الكلية الكبرى والعامّة التي تشمل: المقدمة (تمهيد)، المشكلة (طرح القضية أو الإشكال)، الحل (انفراج المشكلة)، إضافة إلى بنيات أخرى[33].

وثمةَ نُخبة مميزة من الباحثين نظروا إلى الخِطاب بوصفه بنية كلية تستوعب النّص أو تحتوي على مجموعة نُصوص، أو هو طريقة تتشكل بها الجُمل، مكونة نظاما متتاليا، ينتج عنه في الأخير نسق كلّي مغاير، خواصه متّحدة[34]. أمّا باختين Bakhtine فقد عرَّف الخِطاب بأنّه تلفظا، يمكن وصفه حسب وجهة نظر تودوروف Toudorof بأنّه عبارة عن حدث اجتماعي، وليس فرديّاً، لأنه ناتج عن علاقات اجتماعية متداخلة، و يعبر عن خبرة اجتماعية[35].

أتمّ فوكو ما جاء بِهِ من سَبَقَهُ،إذ ربط بين مفهوم الخِطاب و مفهوم اللّغة، وأوجد مفهوماً جديدا له، يتشكل من وحدات سماها بـ"المنطوقات" وهي تتكون أصلاً من تشكيلات خطابية[36]. ثم استنتج أن

الخطاب شكل من أشكال الهيمنة أو ممارسة فكريّة إيديولوجية، ترتبط بمشكلة صراع الطّبقات[37] أو صراع الأجناس.

وبما أنّنا لا نستطيع في هذا المقام أن نذكر كلّ التعريفات، التي وردت بشأن مفهوم الخِطاب، وبما أنّ كلّ تلك التّعاريف تكاد تتشابه في كثير من الأحايين إلى درجة أنّها تكاد تكون ذات معنى واحد عند بعض العلماء، فإنّنا سننتقل الآن إلى الحديث عن فعاليته وموضوعه في الحقل الأدبي السِّيميائي .

**3. لفظ الخطاب في علم السيمياء :**

**1.3 دلالته ووظيفته:**

إنّ السِّيميائية (بالمصطلح الحديث) أو علم الدّلالات والعلامات والرّموز بالمفهوم القديم تركيبة طبيعية من شتّى العلوم، حيث أنّها تتكون من مفاهيم بيولوجية وأخرى فيزيائية ومفاهيم الذكاء الاصطناعي. وقد انبثقت السِّيميائية أصلاً عن ميراث مركب من اللّسانيات البنيوية ودراسة للفلكلور والميثولوجيا (علم الأساطير)، لذلك تستمد مصطلحاتها من النّقد والنّحو والفلسفة وغيرها من العلوم، فتوظّفها بالشكل الذي يتناسب وإجراءاتها وأدواتها، وتعمل على تطويرها وتغييرها[38] والخطاب واحد من تلك المفاهيم الأدبية النقدية التي يتم توظيفها لسانياً وسيميائياً.

واجهت مشكلة تحديد موضوع الخطاب العديد من النّقاد والباحثين،سواء على المستوى السيميائي أو اللّساني، لا سيما بعد تطوّر الاتجاهات والمدارس والتيارات اللسانية، وتداخل الحقول المعرفية والأدبية النّقدية، فاتضحت هذه المشكلة بمثابة الحَجرة العثراء التي تقف في سبيل كل من يسعى لتحديد مصطلح الخطاب من حيث الماهية و الموضوع .

المعروف أنّ التحليل السِّيميائي هو ذاته تحليلاً للخطاب في ارتباطه (أي ارتباط الخطاب) بعملية التلفظ والتواصل الاجتماعي، عن طريق أداة التّعبير اللّغة، وبعودته إلى أصوله الاجتماعية وسياقاته الثّقافية والتّاريخية، ومستوياته الدّلالية والتّركيبية والصّوتية والمعجمية، وحتى البلاغية .

**4. قراءة في جملة الخطاب الأدبي:**

إنّ مفهوم الخطاب الأدبي لا يمكن حصره في مجرّد طرفين باث ومتلقي، بل هو أوسع بكثير من ذلك، فهو يضمّ المرسِل، الرّسالة، والمرسَل إليه، وأطراف أخرى . مثل مقصِديّة الباث، معارضون ومؤيّدون، أهداف متوخّاة، موضوع القيمة... وغير ذلك. وهذا يعني أنّ ماهية الخطاب الأدبي مرهونة بمدى أدبيّته، أي بما يجعله عملاً أدبياً راقياً في حقول معرفية،كالأدب والنّقد والسِّيميائيات واللّسانيات الحديثة والمعاصرة، وبمدى قدرته على تأدية وظائفه اللّغوية، ومدى تأثيره على القارئ، حتى ولو كان كلّ

خطاب امتداداً لما سبقه أو ما لحقه من خطابات يتناص ويتحاور أو يتقاطع معها في نقاط معيّنة،وحتى ولو كان الخطاب مرسلاً، مباشراً أو غير مباشر.

**5. أوجه التشابه بين النّص و الخطاب:**

كاد الطّموح العلمي أن يتوقّف عند نقطة معيّنة، ليستقرّ في نهاية المطاف عند مفهوم موحّد للخطاب، وموضوع واحد له،غير أنّ تفكير الباحثين السِّيميائيين عجز عن ذلك، بل باءت محاولاتهم المتكرّرة بالفشل، والدّافع يعود بكلِّ بساطة إلى فكرة انطلاق هامة مفادها أنّ مفهوم الخطاب أوسع وأشمل من أن نحصره في مجرّد تعريف واحد و دقيق. وتأسيساً على هذا، فإنّ موضوع الخطاب هو الآخر واسع غير محدود، لا يمكن تقييده، فهو مطلق، شريطة أن يختزل وينظم ويصنّف الإخبار الدّلالي ككلّ[39].

يحسُن بنا الآن أن نشير إلى أنّ موضوع الخطاب يلخّص بنيات دلالية متتالية من الجمل،أو لنقل هو تشخيص دلالي لمسألة معيّنة أو لنص ما، أو نسق أو نظام عام أو بنية كلية كبرى مركبة من مجموعة بنيات صغرى أو جزئية متتابعة، موجهة للقارئ في شكل رسالة لغويّة، وعبر أدوات وإجراءات ووظائف معيّنة، فتقرأ بمنهج معيّن وتحلّل بطرق متباينة.

وهناك من يستخدم مصطلح النّص ومصطلح الخطاب على أساس أنّهما يحملان معنا واحدا، ويدلان على الشيء نفسه، هو كل عمل أدبي، كيفما كان نوعه أو جنسه. وعلى خلاف ذلك هناك من يقيم فرقاً بين المفهومين ويميّز بينهما، انطلاقاً من المحتوى والشّكل، فإذا كان النّص يمثّل الشّكل (البنية الظّاهرة)، فإنّ الخطاب يمثّل المضمون،و ما تدلّ عليه اللغة على رأي بعض الباحثين الغربيين[40]، وقد حذا حذوهم الكثير من العلماء العرب.

**6. خاتمة:**

إذن دعماً وتلخيصا لما سبق ذكره نقول: تضاربت الآراء حول مفهوم الخطاب وتشابكت، ولكن تمّ الاتفاق والتوصل نسبيا إلى أنّ كلّ خطاب Discours هو إطار عام يضمّ قائمة متتالية من الأجزاء، أو هو كلٌّ أو كيان يتجزّأ إلى وحدات. ولا يمكن لأيّ خطاب أن يوجد من عدم، بل هو دائماً مرتبط بما سبقه من خطابات، بل هو غير مستقل عنها، وهذا ما ولّد حالياً ما يعرف بإشكالية تداخل الخطابات وبعدها مسألة تعارض الخطابات وتصارعها.

ولكلِّ خِطاب مواقف إيديولوجية معيّنة، ومقاصد وأهداف متعدّدة سابقاً، مِمّا يجعل دلالات الخطاب وألفاظه ومعانيه متغيّرة ومتجدّدة باستمرار، حسب الطّبقات التي تتعامل معها، وتحتكُّ وتتنبّأ بها، ومن ثمّة يصعب علينا القول أو الاستنتاج بأنّه سيكون في يوم ما نقطة يشترك فيها العام والخاص حول فهمهم ومقاربتهم وتأويلهم للقضايا والأشياء والنّصوص والخطابات، كيفما كان شكلها أو محتواها أو نوعها،لأنّ

الآراء ووجهات النظر غير مستقرّة في كثير من الأحيان، فهي تختلف بتطوّر الأحداث والمواقف وتتغير بتغير الإيديولوجيات والأزمنة والأمكنة والمقامات، وتتجدد بتجدّد الحقول المعرفيّة.

ثمّ إنّ الباحثين واجهوا صعوبة كبيرة في تحديد مفهوم وماهية مصطلح النّص، خشية الوقوع في قيود تجعلهم يحدون من فعاليته وكيانه المفتوح أمام العديد من القراءات والتأويلات في حقول النّقد واللّسانيات والسّيميائيات... وغيرها.

## الهوامش

[1] – عبد الواسع، الحميري، (1429هـ–2008م)، الخطاب والنّص، المفهوم، العلاقة، السلطة"، المؤسسة الجامعية للدراسات والنّشر والتّوزيع، ط1، ص ص107–108.

[2] – زتسيسلاف، زنياك، (2003)، مدخل إلى علم النّص، تر: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار والتوزيع، ط1، ص 56 .

[3] – المرجع نفسه، ص53.

[4] – نفسه، ص58.

[5] – اليوت، نيوبرت، وغريغور، يشريف، (2002)، الترجمة وعلوم النّص، تر: محي الدّين حميدي، جامعة الملك سعود، (د.ط)، ص105.

[6] – عبد الواسع، الحميري، الخطاب والنّص، المفهوم، العلاقة، السّلطة"، ص.112، عن ليون سميقل، "التّناصية، المفهوم والمنظور"، ص 101 .

[7] – عبد الواسع، الحميري، الخطاب والنّص، المفهوم، العلاقة، السّلطة"، ص.112، عن ليون سميقل، "التّناصية، المفهوم والمنظور"، ص ص119–120، (بتصرف).

[8] – محمد، الخطابي، (1991)، لسانّيات النّص مدخل الخطاب، الدار البيضاء، المغرب، المركز الثقافي العربي، ط1، ص13 ( بتصّرف).

[9] – المرجع نفسه، ص13 (بتصرف).

[10] – نفسه، ص ص 13–16 (بتصرف).

[11] – نفسه، ص ص 12–16 (بتصرف).

[12] – محمد، الخطابي، لسانّيات النّص مدخل الخطاب، ص ص19–20–22.

[13] – حبيب، مونسي، (2001–2002)، فعل القراءة النّشأة والتّحوّل، مقاربة تطبيقية في قراءة القراءة عبر أعمال عبد المالك مرتاض"، منشورات دار الغرب، ص ص78–79–80(بتصرّف).

[14] – المرجع نفسه، ص ص81–86–87 ( بتصرّف).

[15] عبد السّلام، المسدي، (1983)، النّقد و الحداثة، بيروت، دار الطّليعة، ط1، ص42.

[16] –عبد الملك، مرتاض، (1983)، النّص الأدبي من أين و إلى أين؟ الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية (د.ط)، ص40.

[17] – عبد الملك، مرتاض،النّص الأدبي من أين و إلى أين؟ ص ص42–47 (بتصرّف).

[18] – حبيب، مونسي، فعل القراءة النّشأة و التّحوّل، ص ص93–95–96.

[19] – المرجع نفسه، ص ص99–102.

[20] – للاستزادة ينظر: عبد الملك، مرتاض، ( 1995)، تحليل الخطاب السّردي، معالجة تفكيكيّة سيميائية مركّبة لرواية زقاق المدق، بن عكنون، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، (د.ط)، ص22.

[21] – عبد الملك مرتاض، التحليل السّيميائي للخطاب الشّعري، مجلّة علامات في النّقد، المركز الثّقافي، جدّة، ج5، م2، 1992، ص146.

[22] –عبد الواسع، الحميري، الخطاب والنّص، المفهوم، العلاقة، السلطة، ص89 (بتصرّف).

[23] – عبد الواسع، الحميري، الخطاب والنّص، المفهوم، العلاقة، السلطة، ص89 (بتصرّف).

[24] – المرجع نفسه، ص90 (بتصرّف).

[25] – نفسه، ص90 (بتصرّف).

[26] – ينظر: نفسه، ص ص90–91 (بتصرّف).

[27] – عبد المجيد، نوسي، (1423–2002م)، التحليل السّيميائي للخطاب الرّوائي، البنيات الخطابية، التّركيب،الدّلالة، الدّار البيضاء، شركة النّشر والتّوزيع، ط1، ص ص26–27–28 (بتصرّف).

[28] – سعيد، يقطين، (1997)، تحليل الخطاب الروائي، الزّمن، السّرد التّبئير، المركز الثقافي العربي، ط3، ص19.

[29] – للاستزادة يرجى العودة إلى: عبد الواسع، الحميري، "الخطاب والنّص، المفهوم، العلاقة، السلطة"، ص17.

[30] – سعيد، يقطين، (1989)، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، ط1، ص17.

[31] – عبد الواسع، الحميري، الخطاب والنّص، المفهوم، العلاقة، السلطة"، ص93.

[32] – سعيد، يقطين، (1989)، انفتاح النص الروائي، المركز الثقافي العربي، ط1، ص16–(بتصرّف).

[33] – ديان، مكدونيل، (2001)، مقدّمة في نظريات الخطاب، تر: عزّ الدّين، إسماعيل، القاهرة، المكتبة الأكاديمية، ط1، ص29 (بتصرّف).

[34] – ينظر: رامان، سلدن، (1991)، النّظرية الأدبية المعاصرة، تر:جابر، عصفو، دار الفكر للدّراسات والنّشر والتّوزيع، ط1، ص168 (بتصرّف).

[35] – تودروف، تزفيتان، (1992)، المبدأ الحواري، دراسة في فكر ميخائيل باختين، تر: فخري صالح، بغداد، دار الشّؤون الثّقافية، ط1، ص50 (بتصرّف).

[36] – ينظر:بغورة، الزّواوي، (2000)، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، ص143 (بتصرّف).

[37] –ينظر: ديان، مكدونيل، مقدّمة في نظريات الخطاب، ص85 (بتصرّف).

[38] – عبد الملك مرتاض، (1995)، تحليل الخطاب السردي، معالجة تفكيكية سميائية، مركبة لرواية زقاق المدق، بن عكنون، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، (دط)، ص ص07–08 (بتصرّف).

[39] – ينظر: محمد، الخطابي، (1991)، لسانيات النّص مدخل إلى انسجام الخطاب، الدار البيضاء، المغرب، المركز الثقافي العربي، ط1، ص42.

[40] – عبد الواسع، الحميري، "الخطاب والنّص، المفهوم، العلاقة، السلطة، ص122–(بتصرّف).